وسطية مناهج التعليم عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ط/د. إلياس بولفخاذ معهد العلوم الإسلامية–الوادي

الأستاذ المشرف: أ/د. أبوبكر لشهب معهد العلوم الإسلامية–الوادي

الملخص:

كانت أوضاع التعليم في الجزائر مزرية حيث عمل الاستعمار الفرنسي في الجزائر ومنذ لحظته الأولى على طمس الهوية الجزائرية، ونشر الجهل والأمية في صفوف الشعب، وفي خضم ذلك بزغ فجر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليبدد الجهل ويحارب الضلالة والخرافة، فوضع المجتمع الجزائري على سكة التعليم القويم والتربية الصحيحة عن طريق وعظ الكبار في المساجد، وإرشاد الشباب في النوادي وتربية الصغار في المدارس بمنهج وسط لا شطط فيه جمع بين الاعتناء بالألفاظ السليمة لتقويم اللسان، والمعاني الصحيحة لتقويم الأذهان، وبين الدروس النظرية والتمارين العملية، وبين التلقين وتنمية ملكة الذوق والاستنتاج وروح المبادرة، وبين التربية والتعليم، وبين الجانب المادي والنفسي، وبين العلوم الدينية والعلوم الكونية.

الكلمات المفتاحية: الوسطية – مناهج التعليم – الاصلاح التربوي – جمعية العلماء– التعليم الحر.

Summary:

The conditions of education in Algeria were difficult and the French colonialism in Algeria and since the first moment on the suppression of Algerian identity and the spread of ignorance and illiteracy among the people and in the midst of this dawn of the Association of Algeria Muslim scholars to dispel ignorance and fight the misguidance and superstition put Algerian society on the path of proper education the way of preaching in mosques and guiding young people in clubs and schools the curriculum combines the care of sound words to correct the tongue and the correct meanings to evaluate the mind and between theoretical lessons and practical exercises between indoctrination and the development of the queen of taste and conclusion and the spirit of initiative between education and physical and psychological and between religions and cosmic sciences

Key words: intermediate, Educational reform, Association of scholars, free education.

مقدمة:

الوسطية شعار الإسلام، وجوهره الحقيقي، الذي قد يخبو أزمانا لكن ما يلبث أن يسطع بنوره على الأمة، فيكشف الظلمة ويزيح الغمة، وفي هذا الصدد كانت التجربة التربوية والتعليمية لجمعية العلماء المسلمين، باعتبار التربية والتعليم أحد ركائز الوسطية وأهم وسائل تكريسها. فلا يمكن الحصول على مجتمع قائم على الوسطية، إلا إذا تربت الأجيال عليها، ونشأت على منهجها، فمن رحم المدرسة تولد الوسطية.

أهمية الدراسة: ترجع أهمية الدراسة إلى:

1-أهمية الوسطية في المناهج التربوية إذ تعد صمام أمان المجتمع وأساس تنشئة أجيال تبني ولا تهدم.

2-الدور الفعال الذي لعبته جمعية العلماء في إحياء الضمائر، وتفتيق الأذهان، فزمن الجمعية يعتبر زمن القمة للنهضة الفكرية التي عاشها المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية فكان لزاما الوقوف عنده.

3-إمكانية استلهام العبر ومحاكاة تجارب الجمعية في المجال التربوي.

أسباب الدراسة:

1-نشأت، ومنذ الصغر كالعديد من أبناء الجزائر، على حب الجمعية وحب علمائها، لذلك أردت الوقوف على تجربة الجمعية الرائدة في مجال التعليم والتربية، والوقوف على معالم الوسطية فيها.

2-جمعية العلماء المسلمين جمعية تمثل معالم الشخصية الوطنية وحاملة هموم الأمة، لذلك أردت الوقوف على مساهماتها في تكريس الوسطية خاصة وأن الدراسات التي اهتمت بالإصلاح التربوي للجمعية لم تظهر ملامح الوسطية فيه.

3-تعد الجمعية عنوانا للوسطية، حيث توسطت بين الأفكار التقدمية التغريبية للاستعمار، والأفكار الخرافية للطرقية، فالجمعية أتاحت إمكانية الجمع بين التطور العلمي والتدين الصحيح.

إشكالية الدراسة: لا شك أن الوسطية هي صمام أمان المجتمع ومن دونها إما أن يحيى الناس في غلو وإفراط فتضيق عليهم دنياهم بما رحبت، وإما أن يحيوا في تميع وتفريط فيضيع عليهم دينهم، وللحصول على مجتمع وسطي لا بد من إنشاء منظومة تربوية وتعليمية وسطية، وهذا ما تيقنت منه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فكانت لها الريادة في مجال الإصلاح التربوي والتعليمي في الجزائر في فترة الاستعمار.

فهل نجحت الجمعية في تأسيس منهج تربوي وسطي؟

يتفرع عن هذا الإشكال التساؤلات التالية:

-كيف كانت وضعية التعليم في الجزائر قبل وبعد إنشاء الجمعية؟

-ماهي مجهودات الجمعية في مجال التربية والتعليم؟

-ما هي معالم الوسطية في المنهج التربوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟

أهداف الدراسة:

1-التعرف على مجهودات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجال الإصلاح التربوي والتعليمي. 2-الوقوف على الصعوبات التي واجهتها جمعية العلماء في سبيل تحقيق رسالتها.

3-الكشف عن معالم الوسطية في المنهج التربوي الذي اتبعته الجمعية كأداة إصلاح.

المنهج المتبع: اقتضت مني الدراسة أن أتبع المنهج التاريخي، لتتبع النشاط التربوي والتعليمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومعرفة جهودها فيه والعوائق التي واجهتها خاصة من الإدارة الاستعمارية، كما استعنت بالمنهج التحليلي وذلك للوقوف على معالم الوسطية في المنهج التعليمي للجمعية.

الدراسات السابقة:

1-الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، محمد زرمان: اهتمت الدراسة بالأسس النظرية لمنهج التغيير عند الشيخ الإبراهيمي باعتباره عضوا فعالا في جمعية العلماء ومست الرسالة جوانب عديدة منها المنحى التربوي والتعليمي، غير أن الدراسة لم تهتم بإبراز معالم الوسطية في المنهج التربوي للجمعية.

2-التجديد عند محمد البشير الإبراهيمي منهجه ومضامينه، إبراهيم بريك: وحاولت الرسالة تبيين تجربة الشيخ البشير الإبراهيمي في التجديد والتغيير مركزة على جوانب من فكره التجديدي الذي مس أغلب مناحي واقع الأمة الإسلامية بصورة عامة و الجزائرية بصفة خاصة، ورغم أن الدراسة عالجت المناحي التربوية والتعليمة كجزئية من البحث إلا أن ملامح الوسطية لم تبرز فيها.

3-منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس، سامية جفال: تعرضت الدراسة إلى منهجية التغيير عند الشيخ ابن باديس وأسس الإصلاح عنده، والدراسة تطرقت لمنهج التغيير في العديد من الميادين منها ميدان التربية والتعليم، ومع هذا لم توضح مكمن الوسطية في هذا المنهج.

4-جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية1931 – 1954 م، مراد مزعاش: تحدثت الرسالة عن جهود جمعية العلماء المسلمين في خدمة اللغة العربية باعتبارها وعاء الثقافة العربية الإسلامية كما بينت آثار هذه الجهود على النهضة الأدبية والثقافية عموما على الأمة. ورغم أن الدراسة عرجت على مسائل التربية والتعليم ومناهج التعليم مركزة على تعليم اللغة العربية أساسا، إلا أنها لم توضح وجه الوسطية فيها.

خطة الدراسة: للإجابة عن الإشكالية قسمت البحث إلى مقدمة ومدخل ومبحثين وخاتمة:

تناولت في المقدمة الإشكالية، أهمية وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة. وحددت في المدخل مصطلحات البحث الوسطية، مناهج التعليم، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأما المبحث الأول فبينت فيه حالة التعليم في الجزائر قبل وبعد نشأة جمعية العلماء بينما في المبحث الثاني كشفت عن وسطية المنهج التعليمي لجمعية العلماء على مستوى الأسس والأهداف، وعلى مستوى المواد المدرسة وطرق التدريس.

مدخل: تحديد المصطلحات

أولا–الوسطية:

1–لغة: من فعل وسط: والوسط في الأصل هو اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب في المدور، ومن الطرفين في المطول كمركز الدائرة، ولسان الميزان من العمود، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط. فيأتي بمعان منها:

أ–العدل: وأعدل الشيء أوسطه ووسطه. قال الله عز وجل: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أمة وسطا**﴾ [البقرة: 143]: يعني متباعدين عن طرفي الإفراط والتفريط في كل الأمور.

ب–ما بين الجيد والرديء: كواسطة القلادة الجوهر الذي في وسطها وهو أجودها. وفي التنزيل ﴿**من أوسط ما تطعمون**﴾ [المائدة: 89] أي من وسط بمعنى المتوسط.

ج–ووسط الرجل قومه وفيهم وساطة توسط في الحق والعدل وكان خيارهم وفي التنزيل ﴿**قال أوسطهم**﴾ [القلم: 28] أي أقصدهم إلى الحق وخيارهم.

د–ويقع ظرفا تقول: (جلست وسط الدَّار)، بالتحريك والتسكين.[1]

2–اصطلاحا: عرفت الوسطية بعدة تعريفات نذكر منها:

أ– الوسطية هي مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة، والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجة عليهم، ولا يلزم لكل ما يعتبر وسطا في الاصطلاح أن يكون له طرفان، فالعدل وسط ولا يقابله إلا الظلم، والصدق وسط ولا يقابله إلا الكذب، كما أن الوسطية لا تعني التساهل والتنازل.

إلا أن هناك من خالف هذا الطرح فرأى أنه لا يصح إطلاق الوسطية على شيء إلا إذا توفرت فيه صفتين: الخيرية أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل، والبينية سواء أكانت حسية أو معنوية.[2]

ب– الوسطية هي قانون التعادل بين المتناقضات، التي يقوم عليها كل كيان أو قوام حي في هذا الكون، وهي عدم الغلو، وتجنب كلا طرفي الإفراط والتفريط، والوسط هو الخيار والعدل والاعتدال، على اعتبار أن الوسط هو مركز متساوي البعد عن جميع أطرافه المحيطة به ومن ثم دل على التوازن والاستواء.[3]

ج–الوسطية ويعبر عنها أيضا بالتوازن، ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه... ومعنى التوازن بينهما أن يفسح لكل طرف منها بحاله ويعطى حقه بالقسط أو بالقسطاس المستقيم، بلا وكس، ولا شطط، ولا غلو، ولا تقصير، ولا طغيان ولا إخسار.[4]

ثانيا–مناهج التعليم:

1–المنهج:

أ–لغة: من نهج وهو النهج: الطريق الواضح، وكذلك المنهج والمنهاج. وأنهج الطريق، أي استبان وصار نهجا واضحا بينا.[5]

ب–اصطلاحا: هو الطريق الذي يؤدي إلى الهدف المقصود، بعد التغلب على عقبات ومصاعب، أو هو إجراء و عملية لإحراز شيء أو تحقيق هدف، كما يعني أسلوبا للاستقصاء يصلح لتخصص أو فن بعينه، ويعني أيضا خطة نظامية لعرض مادة للتعليم أو التوجيه.[6]

2–التعليم:

أ–لغة: من الفعل علم ويدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره. من ذلك العلامة، وكل شيء يكون معلما: خلاف المجهل. والعلم: نقيض الجهل وتعلمت الشيء، إذا أخذت علمه.[7]

ب–اصطلاحا: التعليم هو تنبيه النفس لتصور المعاني، ويكون بتكريرٍ وتكثيرٍ حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم.[8]

3–مناهج التعليم: هي نظام متكامل من الحقائق والمعايير والقيم الثابتة، والخبرات والمعارف والمهارات الإنسانية المتغيرة التي تقدمها مؤسسة تربوية إلى المتعلمين فيها قصد إيصالهم إلى مرتبة الكمال التي هيأهم الله لها، وتحقيق الأهداف المنشودة فيهم".[9]

أو هي برامج الدِّراسة، ووسائلها وطرقها وأساليبها.[10]

ثالثا–جمعية العلماء الجزائريين: تأسست الجمعية في الخامس من شهر ماي 1931 وهي كما قال عنها مؤسسوها: " إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية إسلامية في سيرها وأعمالها، جزائرية في مدارها وأوضاعها، علمية في مبدئها وغايتها. أسست لغرض شريف تستدعيه ضرورة هذا الوطن وطبيعة أهله، ويستلزمه تاريخهم الممتد في القدم إلى قرون وأجيال، وهذا الغرض هو تعليم الدين ولغة العرب التي هي لسانه المعبر عن حقائقه للكبار في المساجد التي هي بيوت الله، وللصغار في المدارس على وفق أنظمة لا تصادم قانونا جاريا، ولا تزاحم نظاما ما رسميا، ولا تضر بمصلحة أحد ولا تسيء إلى سمعته، فجميع أعمالها دائرة على الدين، والدين عقيدة اتفقت جميع أمم الحضارة على حمايتها، وعلى التعليم، والتعليم مهنة اتفقت جميع قوانين الحضارة على احترامها وإكبار أهلها.[11]

المبحث الأول: التعليم في الجزائر قبل وبعد نشأة جمعية العلماء

عانى التعليم في الجزائر من أوضاع صعبة تمثلت خاصة في محاربة الاستعمار للهوية الوطنية وفرض هويته الأجنبية، مع عمله على تجهيل الشعب ونشر الأمية فيه، وفي أثناء ذلك نشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائرية فوضعت سياسة لمجابهة السياسة الاستعمارية في شتى المجالات وفي مجال التربية والتعليم على وجه الخصوص ورغم العراقيل التي لقيتها من قبل الاستعمار إلا أن جهودها أثمرت جيشا من المتعلمين والمثقفين.

المطلب الأول: التعليم في الجزائر قبل نشأة جمعية العلماء

قبل إنشاء جمعية العلماء المسلمين كانت أوضاع التعليم في الجزائر مزرية حيث عمل الاستعمار على طمس الهوية الوطنية ونشر ثقافته في بعض الأوساط الجزائرية، في حين نشر الجهل والأمية في الأوساط العريضة وذلك من خلال إجراءات نذكر منها:

1-السيطرة المطلقة على عقارات الدولة الجزائرية والأوقاف الإسلامية التي كانت تنفق على التعليم، ويعلق الضابط الاستعماري "رين" على أسلوب فرنسا تجاه التعليم في الجزائر، فيقول: "كان للغزو الفرنسي أثر سيء إذ بسط يده على عقارات الدولة، دون أن يخصص ولو محلا واحدا للتعليم".[12]

2-القضاء على المراكز الثقافة العربية الإسلامية من مدارس، ومكتبات، وجوامع، وزوايا إما بتحويلها إلى مراكز فرنسية أو هدمها كما عمل على إحراق وإتلاف المخطوطات والكتب، وما سلم منها نهب ونقل إلى أروبا.[13]

3-تدمير وإغلاق الزوايا التي تنشر العلم، بل وصرف بعضها عن أداء دوره العلمي والقومي بتحويلها إلى ما يعرف بالطرقية، فصار الطرقيون، بعد أن حرفوا التصوف إلى مجرد طقوس، عونا للاستعمار.[14]

4-تعيين أشخاص عملاء الاستعمار للإشراف على قضايا التعليم في المساجد والمدارس عملوا على إهمال اللغة العربية، قال "بولار" في هذا الصدد: "أسندت إدارة التصرف في المساجد والمكاتب إلى أفراد بارعين في الكيد والدس. استخدموا القسط الأوفر من الأموال في مصلحتهم الشخصية. ومن هنا أهملت أغلبية المدارس وتركت وشأنها".[15]

5- محاربة معالم الهوية الجزائرية مع التركيز على اللغة العربية باعتبارها وعاء الثقافة العربية الإسلامية فمتى قُضي عليها أمكن القضاء على الثقافة العربية بسهولة ويسر ولذلك كانت أول توصيات القادة الفرنسيين لجيشهم الزاحف على الجزائر في بداية الاحتلال سنة 1830 هي قولهم:" علموا لغتنا، وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة"،[16] ولتحقيق هذا أبعدوا العربية عن الإدارة والعمل الرسمي ما عدا محاكم الأحوال الشخصية، كما طردوها من معاهد التعليم الحديثة وجعلوا التعليم باللغة الفرنسية ومنعوا تدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية وجعلوها اختيارية في الطور الثانوي لتكوين نخبة فرنسية من الجزائريين وجعلهم معاول هدم للثقافة العربية الإسلامية.[17]

6-اشتراط الرخصة لتعليم اللغة العربية على إثر إصدار قانون 24 ديسمبر 1904، والذي ينص على: "عدم السماح لأي معلم مسلم أن يتولى إدارة مكتب لتعليم اللغة العربية بدون رخصة يمنحه إياها عامل الولاية، أو قائد الفيلق العسكري. ويعد فتح مكتب بدون رخصة اعتداء على حدود القوانين الخاصة بالأهالي". وبعد ذلك وضعت سلطات الاحتلال عراقيل لمنح الرخصة فكان على المعلمين التعرض لمواقف صعبة والرضوخ لشروط مهينة، يلتزم بتنفيذها نصا وروحا في مدرسته، حتى يحصل على رخصة التعليم القانونية، ومن تلك الشروط نذكر:

أ -اقتصار التعليم على تحفيظ القرآن لا أكثر.

ب -عدم التعرض بأي وجه كان إلى تفسير الآيات القرآنية، وخاصة تلك التي تحض على الجهاد في سبيل الله، وتدعو إلى محاربة الظلم والاستبداد.

ج -استبعاد تدريس تاريخ الجزائر، والتاريخ العربي الإسلامي وجغرافية الجزائر والبلاد العربية.

د-استبعاد الأدب العربي، بجميع علومه، والامتناع عن تعليم المواد العلمية والرياضية.

هـ-فرض السلطات على حامل الرخصة أن يبث روح السخط والاشمئزاز من الثقافة العربية والإسلامية بين الناشئة، وأن يُخلص للسلطة الاستعمارية، وأن يتبع تعليماتها وينفذ توجيهاتها المتعلقة بالثقافة العربية، وإلا سحبت منه الرخصة مؤقتا أو نهائيا أو حتى غلق الكتاب الذي يدرس فيه.

و-لا يجوز لمكاتب التعليم العربية أن تفتح أبوابها للأولاد الذين هم في سن التعليم أثناء ساعات التعليم في المكتب الفرنسي. وذلك في القرى التي تبعد ثلاثة كيلومترات عن المدرسة الفرنسية.[18]

هذه الاجراءات وغيرها أثرت على التلاميذ الجزائريين حيث خرجت المدارس الفرنسية أفرادا متنكرين لأصالتهم وهويتهم، في حين خرجت المكاتب العربية أفرادا اتسموا بجمود الأفكار وبضيق أفق معارفهم.[19]

7-العمل على تجهيل الشعب الجزائري ونشر الأمية بين أفراده إذ يتلقى 19% فقط منهم تعليمهم الابتدائي وذلك في مدارس غير لائقة يتعدى عددهم في الفصل الواحد منها خمسين تلميذا ويدرسون نصف المقررات الدراسية التي يدرسها الأوروبيون حتى طالت الأمية، بعد قرن وثلث القرن من الاحتلال، 94.9% من الرجال و98.4% من النساء.[20]

المطلب الثاني: التعليم في الجزائر بعد نشأة جمعية العلماء

الفرع الأول: الجهود التعليمية للجمعية

إن من أسباب تحصيل الأمة الإسلامية الوسطية والخيرية: الإيمان بالله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم**﴾ آل عمران110، وهذه الأسباب ما فتئت جمعية العلماء المسلمين تحققها وتكرسها خلال مختلف مراحلها.

أولا-مرحلة التأسيس (1931-1939): بدأت الجمعية بتعريف الشعب بدعوتها لكسب دعمه في فتح المدارس والمساجد والنوادي الحرة في مختلف ربوع الوطن وحتى في فرنسا أين أرسلت الجمعية سنة 1936 ألمع أعضائها برئاسة الأستاذ الفضيل الورتلاني.[21]

1-المدارس: عرفت الجمعية قيمة المدرسة في تكوين هوية الأمة فحرصت على نشرها في ربوع الوطن ومن خلالها عملت على إحياء الثقافة العربية الإسلامية، من نشر للغة العربية وبعث للتاريخ الجزائري والتاريخ العربي الإسلامي.[22] وفي قيمة المدرسة يقول الشيخ الإبراهيمي:" فالمدرسة هي جنة الدنيا والسجن نارها... والأمة التي لا تبني المدارس تُبنى لها السجون، والأمة التي لا تصنع الحياة يُصنع لها الموت، والأمة التي لا تعمل لنفسا ما ينفعها ويسعدها يعمل لها غيرها ما يضرها ويشقيها...المدرسة هي طريق الحياة، وطريق النجاة، وطريق السعادة، وأن الوطن أمانة الإسلام في أعناقنا، ووديعة العرب في ذمتنا، فمن حقه علينا أن نحفظ دينه من الضياع، وأن نحفظ لسانه من الانحراف، وأنه لا سبيل إلى ذلك إلا بالمدرسة التي تبنيها الأمة بمالها، وتحوطها برعايتها".[23]

ومن هذه المدارس التي أنشئت نذكر مدرسة التربية والتعليم الإسلامية التي أسستها الجمعية سنة 1936 بتمويل من المحسنين، ولقد حرص رئيس المدرسة الشيخ عبد الحميد بن باديس على تعليم البنات إلى جانب تعليمه

البنين، فجعل تعليمهن مجانا، في حين يدفع البنون القادرون تكاليف الاشتراك، قال الشيخ في ذلك:" فأما البنون فلا يدفع منهم واجب التعليم إلا القادرون، وأما البنات فيتعلمن كلهن مجانا لتتكون منهن بإذن الله المرأة المسلمة المتعلمة".[24]

2–النوادي: اعتنت المدارس بالصغار، والجوامع بالكبار، فكان لزاما إنشاء النوادي في الجزائر وخارجها للاعتناء بالشباب وحفظهم من مختلف الآفات الاجتماعية، فكانت النوادي عبر القطر الجزائري تقوم بتوعية الشباب وتنظيمه في منظمات وطنية وقومية كالكشافة الإسلامية والجمعيات الرياضية والثقافية والفنية لحفظ هويته العربية الإسلامية،[25] وأما في الخارج وفي قلب فرنسا بالذات عملت النوادي على إنقاذ أفراد الجالية الجزائرية من الذوبان في المجتمع الفرنسي بإرسال الواعظين والمرشدين والمعلمين ابتداء من عام 1936، حيث كونت خلال سنوات أحدى عشر (11) ناديا في أنحاء باريس، ونوادي أخري في بعض المدن الفرنسية، عملت فيها على تعليم العربية للصغار نهارا وتعليم الكبار ليلا،[26] فكان للنوادي بفرنسا مهمتان: مهمة ثقافية ودينية بإلقاء المحاضرات التوجيهية والوعظة، ومهمة تربوية تعليمية بتلقين مبادئ اللغة العربية، والدين الإسلامي، وتاريخ الإسلام والجزائر، وجغرافية الجزائر والعالم العربي والإسلامي؛ لربط شباب الجالية بأصولهم وهويتهم العربية الإسلامية خاصة وأن عددا كبيرا منهم كان نتاج زواج مختلط بين أب جزائري وأم أوروبية.[27]

وفي هذا يقول الشيخ الإبراهيمي: "وقد قضت عليهم الضرورة أن يعيشوا في وطن ليس فيه إسلام ولا عربية وأن تطول إقامتهم فيه أو تدوم، وقضت على بعضهم أن ينقل إليه زوجته المسلمة أو يتزوج من أجنبية وينسل، وقد بلغ عدد أطفالهم في باريس وضواحيها نحوا من عشرين ألف طفل... كانت جمعية العلماء فكرت في هذه القضية الخطيرة وتدبرت عواقبها قبل أن يبلغ العدد إلى هذا الحد فرأت من الواجب عليها ومن الأشبه بها، ومن جنس عملها، أن تلتفت إلى هذه الطائفة، وتهتم بها وأن تتخذ الوسائل لإنقاذها من الكفر والذوبان والانسلاخ عن العروبة والإسلام، وبدأت عملها التجريبي سنة 1936 على يد الأستاذ الفضيل الورتلاني".[28]

3–المساجد: عملت الجمعية على نشر الجوامع الحرة على إثر منع أعضائها من ممارسة الوعظ والإرشاد في المساجد الخاضعة لإشراف سلطة الاحتلال سنة 1933 حيث أُسس أكثر من تسعين (90) مسجد في سنة واحدة مولت كلها من معونات الأمة، ولم تكن هذه المساجد أماكن للصلاة فحسب بل كانت أماكن لنشر العلم وتدريس الطلاب بالاعتماد على الكتب العلمية على شاكلة الجوامع الإسلامية الكبرى كالأزهر، والزيتونة، والقرويين، كما كانت أماكن لبعث الوعي عن طريق دروس الوعظ والإرشاد لعموم الأمة.[29]

ثانيا–مرحلة توقف النشاط (1939–1944): بسبب الحرب العالمية الثانية ووفاة رئيس الجمعية الشيخ ابن باديس في 16 أفريل 1940، ونفي نائبه وخليفته الشيخ الإبراهيمي إلى أفلو في الجنوب الغربي لمدة ثلاث سنوات، ضاق نشاط الجمعية حيث اقتصر رئيسها الجديد الشيخ الإبراهيمي على تسيير بعض أعمالها من منفاه عن طريق الرسائل التي كان يتبادلها مع الأعضاء بواسطة الرسل الثقاة.[30]

ثالثا–مرحلة الانتشار والتوسع (1944–1956):

1–اتساع انتشار المدارس: تحرك علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع حلول شهر أفريل 1944، في جميع اتجاهات الوطن يدعون الناس إلى ضرورة التمسك بالإسلام وبلغة القرآن، وإلى توحيد الجهد الوطني في سبيل تقويض أركان الاستعمار، وعلى التبرع بما يستطيعون من أموال لبناء المدارس الحرة وللمساعدة على توفير الشروط اللازمة لنشر التربية الإسلامية الصحيحة. ولقد كان لهذا المسعى آثاره الإيجابية من خلال ارتفاع عدد المصلين وظهور جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأسيس ثلاث وسبعين (73) مدرسة حرة في عام واحد.[31] وفي سنة 1951 بلغ عدد مدارس الجمعية مئة وخمسين مدرسة (150) بها ثلاث مئة (300) فصل ضمت ستة وثلاثين ألفا ومئتين وستة وثمانين (36286) تلميذا وتلميذة شاركوا في امتحانات آخر العام، أما العدد الكلي للتلاميذ بما فيهم الذين درسوا في مدارس الجمعية ولم يدخلوا الامتحانات فلقد بلغ حوالي أربعين ألفا (40000).[32] كما توسع نشاط الجمعية في التراب الفرنسي حيث يعيش ما يقرب من ربع مليون جزائري، منهم حوالي عشرين ألف طفل في أمس الحاجة إلى الارتباط بدينهم ولغتهم، لكن الإدارة الاستعمارية كانت لها بالمرصاد ومنعتها من تجسيد برنامجها على أرض الواقع خاصة فيما يتعلق بتمكينها، قانونياً، من شراء المحلات أو كرائها للتدريس أو للوعظ والإرشاد.[33]

2–إنشاء معهد ثانوي: في عام 1947 كونت الجمعية معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة وقد بلغ عدد طلابه في العام الدراسي 1950–1951 سبع مئة واثنين (702) طالبا ليبلغ العام 1955 تسع مئة وثلاثة عشر (913) طالبا تخرج منهم أربعين (40) طالبا بالشهادة الأهلية.[34] وفي إطار جهود توحيد التعليم على المستوى الوطني والعربي جعلت الجمعية من هذا المعهد أحد فروع جامعة الزيتونة، ليكون بمثابة مرحلة ابتدائية للطلبة الجزائريين الملتحقين بها.[35]

3–إرسال البعثات العلمية: في سنة 1952 كلفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رئيسها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بالسفر إلى المشرق يلتمس من الحكومات العربية منحا لبعثات الطلبة الجزائريين وإعانات مالية لتمكين الجمعية من مضاعفة نشاطها خاصة في مجالي التعليم والإصلاح الديني، وهكذا بدأ إرسال البعثات العلمية إلى المعاهد والجامعات العربية فأُرسل إلى مصر خمسة وعشرون طالبا وطالبة واحدة توزعوا على مختلف أقسام كليات الآداب، ودار العلوم، والكليات الأزهرية، وبعض الثانويات في القاهرة، وفي العام الدراسي 1952–1953 أرسل إلى العراق أحدى عشر (11)طالبا التحقوا كلهم بدار المعلمين بجامعة بغداد عدا طالبا واحدا التحق بكلية الحقوق، وإلى سوريا (10) عشرة طلاب التحقوا كلهم بدار المعلمين الابتدائية بدمشق وحلب، وإلى الكويت (14) أربعة عشر طالبا توزعوا على الثانويات.

بعدها توالت البعثات إلى مصر وسوريا والعراق والكويت والسعودية حتى بلغ عدد الطلاب (109) مئة وتسعة سنة 1955.[36]

الفرع الثاني: عرقلة الاستعمار لجهود الجمعية

أولا–سن القوانين القمعية: لم تكتف فرنسا منع العلماء من الوعظ والإرشاد في المساجد، وتنظيم الشباب في النوادي، بل راحت تضيق على مدارس التعليم الحر لما لها من الخطر على السياسة الاستعمارية على المدى البعيد، وضربا لمخططاتها من تجنيس وتنصير وإدماج.[37]

1–اعتبار العربية لغة أجنبية واشتراط الرخصة المسبقة على تعليمها:

أ–قانون سنة 1938: أصدر وزير الداخلية "شوتان" قرارا رسميا في 8 مارس 1938، يمنع تعليم اللغة العربية في الجزائر، وجاء في هذا القرار: (أن اللغة العربية تعتبر لغة أجنبية)، كما فرض الرخصة لأجل تعليمها.[38] فنص على عدم السماح لأي شخص أو منظمة بتأسيس مدرسة والتعليم فيها إلا برخصة خاصة من إدارة الاحتلال، وكل من يخالف ذلك يعاقب بالسجن والتغريم،[39] ولقد جاء في البصائر تعليق كاتب جمعية العلماء المسلمين على هذا القانون فقال:" كان شعبنا في غفلة عن مستقبل أبنائه شاملة فكانت الحكومة في تساهل مع الكتاتيب القرآنية مريح. وجاءت جمعية العلماء فشوقت الشعب إلى ترقية حالة تلك الكتاتيب، فأخذت جهات من الوطن الجزائري تنظم الكتاتيب المعبر عندنا عليها بالمدارس تعبيرا نقره على سبيل التفاؤل، وهنا وجدنا من الحكومة معاملة أخرى فأصبحت لا تسمح لنا بالتعليم إلا برخصة، ولا تمنح الرخصة لطالبها ولو انتظرها السنين".[40]

كما أرسل الشيخ ابن باديس احتجاجا إلى الوالي العام بالجزائر بخصوص هذا القانون الجائر يطالب فيه السماح للجمعية بممارسة نشاطها التربوي فقال: "سيدي الوالي العام... وبما أن جميع طلبات الرخص لفتح المكاتب تلغى بغير سبب، أو لا يجاب أصحابها. وحيث أن طالبي الرخص لما يشاهدون هذا الحيف وهذا الجفاء ويرون في ذلك ما يعاكس رغبتهم في تعليم أبنائهم ويضيع ما بذلوه من الجهود في هذا السبيل، يفتحون المكاتب متمثلين تمام الامتثال لقانون 18أكتوبر1892–القانون خاص بتنظيم التعليم الحر في فرنسا وينص أن الرخص تعطى لطالبيها والحكومة لها حق المراقبة فقط–ومحسنين الظن بالحكومة عسى أن تقدر كما ينبغي رغبتهم في تعليم الأولاد، وتعتبر ما ضحوا به لهذا الغرض الشريف".[41]

ورغم الاحتجاجات على هذا القرار من داخل وخارج الوطن ظلت فرنسا مصرة على تنفيذه، حتى إذا ما اندلعت نار الحرب العالمية الثانية، اضطرت مرغمة إلى مسايرة الشعب الجزائري ريثما تنتهي الحرب فتساهلت بعض الشيء في هذا القرار.[42]

ب–قانون 1945: عندما وضعت الحرب أوزارها، استأنفت فرنسا وصل ما انقطع من سياستها، فأصدرت في 22 يوليو 1945، قرارا: (يفرض على معلمي المكاتب العربية معرفة اللغة الفرنسية). محاولة بذلك عرقلة علماء الجمعية والحد من نشاطهم التعليمي؛ لأن معظم معلمي المدارس الإسلامية من خريجي جامع الزيتونة في تونس وجامعة القيروان في فاس، بالإضافة إلى خريجي الأزهر، وهذه الجامعات لا تدرس لغة غير لغة القرآن.[43]

2–سجن معلمي التعليم العربي الحر: كان من نتائج قانون 8 مارس 1938 سجن معلمي التعليم العربي الحر ممن رُفض منحهم الرخص وأصروا على التعليم، قال ابن باديس في رسالة احتجاج للوالي العام الفرنسي:

"سيدي الوالي العام...وحيث أن الذين يفتحون المكاتب بهذه الكيفية، وبهذه الطريقة المعقولة–يقصد وفق قانون 18 أكتوبر1892–يحاكمون كلهم، يساقون أمام المجالس العدلية كأنهم جناة، وحيث أن هذا العمل الممقوت تكرر في عدد كثير من المدن والقرى ... وحيث إن المسلمين يتعسر عليهم فهم ما يقصد من هذه المعاملات القاسية الشاذة التي تعرقل سير التعليم... لهذه الأسباب والموجبات يلتمس المجلس الإداري من السيد الوالي العام ويطلب منه بكل إلحاح أن يرسل حينا إلى الحكام المحليين الأوامر والتعاليم اللازمة ليسهلوا فتح المكاتب القرآنية التي تبقى لا محالة تحت مراقبة الحكومة في دائرة العدل والإنصاف".[44] وفي سنة 1949، وجهت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كتابا مفتوحا إلى رئيس الجمهورية الفرنسية جاء فيه على الخصوص: " والتعليم الديني في هذا الوطن المسلم معطل بتعطيل المساجد، ومئات الآلاف من شباب المسلمين تتشوف إلى تعلم دينها ... والتعليم العربي في هذا الوطن العربي جريمة يعاقب مرتكبها بما يعاقب به المجرم من تغريم وتغريب وسجن، ومدارسه تعاني من التضييق والتعطيل ألواناً متجددة، ورجاله عرضة في كل حين للمحاكمات في المحاكم الجمهورية التي تتسم بوسمتكم".[45]

3–غلق مدارس التعليم الحر: ترتب على قانون 8 مارس 1938 كذلك غلق العديد من المدارس ويتضح ذلك على سبيل المثال من خلال ما نقله الشيخ ابن باديس من شكوى سكان الأوراس والتي وردت إلى جريدة البصائر في صيف 1938، ورد فيها أن متصرف الحوز الفرنسي أمر بإغلاق جميع الكتاتيب القرآنية في المنطقة.[46]

ثانيا–نشر المدارس الفرنسية (فرض التعليم الفرنسي) : يمثل المعلم الاستعماري أحد الوسائل التي اعتمدتها فرنسا لتفسد على أبناء المسلمين عقولهم، وتستزلهم عن لغتهم وآدابهم، وتشوه لهم تاريخهم وتقلّل سلفهم في أعينهم، وتزهدهم في دينهم،[47] فلقد كان الهدف من فتح المدارس الفرنسية في الجزائر طمس الهوية الوطنية وتكوين أعضاء موالين للاستعمار، ومنافسة مدارس الجمعية وصرف الناس عنها.

1–**طمس الهوية الجزائرية**: عمل الاستعمار من خلال المدارس الأهلية على فرض دينه ولغته وعاداته وتقاليده، تكريسا لبسط هيمنته على البلاد، وهذا ما عبر عنه الكاردينال "لافيجري" بمقولته الشهيرة: "علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل ... تلك هي رسالتنا الإلهية".[48]

2–تكوين أعضاء مفيدين ومخلصين للاستعمار: وظهر هذا واضحا في المقولة التي طرحها المسؤول عن التعلم في الجزائر منذ سنة 1908 حين قال: "ليس من الكرم والجود في شيء أن ترغب الجامعة في نشر العلم في القبائل، بل دعونا نقولها كلمة صريحة ونطلقها داويه: إن ذلك في صالح فرنسا". وتجدر الإشارة أيضا، إلى أن عدد ما أنشأته السلطات الفرنسية من المدارس التي تعلم العربية والفرنسية لم يتجاوز الثلاث مدارس في الجزائر وتلمسان وقسنطينة، وأن طلبة هذه المدارس يخضعون لشروط استعمارية قاسية، ولا يكادون يكفون لسد حاجة السلك القضائي والترجمة. ومن المعروف أن هنالك مليونين من الأطفال في سن الدراسة قد أوصدت في وجوههم أبواب العلم والمعرفة وشردتهم فرنسا في الشوارع. ولم يتجاوز عدد الطلاب الذين ضمتهم المدارس –في الفترة التي

سبقت قيام الثورة سنة 1954 –مائتي ألف تلميذ. فالمدرسة الأهلية الفرنسية هي أداة لطمس الهوية الوطنية وأداة سلطة وسلطان، ووسيلة نفوذ وسطوة؛ مكنت الاستعمار من تكوين أعضاء مفيدين ومخلصين له، مأخوذين بعظمة فرنسا وجيشها وثروتها.[49]

المبحث الثاني: وسطية المنهج التعليمي لجمعية العلماء.

اتسم النشاط التربوي للجمعية بالوسطية في أسسه وأهدافه، وفي منهجه التربوي من حيث مواده التعليمية، وكتبه الدراسية، وأسلوبه التعليمي.

المطلب الأول: الأسس والأهداف الوسطية للمنهج التربوي

الفرع الأول: الأسس الوسطية للمنهج التربوي.

1-أهم أساس للتعليم الحر في الجزائر ليس التوسع في العلم بقدر ما هو الاهتمام بتربية الطلاب على فكرة صحيحة،[50] وعلى هذا الأساس كونت جمعية العلماء جيشا من التلاميذ المتفاعل مع الحياة، والمتمتع بالأخلاق الفاضلة، والفكر الصحيح، والوسطية في الفهم والعمل.

2-تأسيس التعليم على التفقه في القرآن والسنة وعمل السلف الصالح ، قال الشيخ ابن باديس:

" ونحن بعد أن بينا تعليم الدين من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن عمل السلف الصالح من أهل القرون الفاضلة المحمودة، ومنهم إمامنا إمام دار الهجرة مالك، فإننا عقدنا العزم على إصلاح التعليم الديني في دروسنا حسب ما تبلغ إليه طاقتنا إن شاء الله تعالى".[51] وتهدف الجمعية من التفقه في القرآن والسنة وعمل الصحابة إلى إحياء الاجتهاد والنظر في الأدلة والاستدلال بها وترك الجمود والتقليد ونقل الفروع دون فهم وتبصر، قال الشيخ في مجلة الشهاب: "...والرجوع بالتعليم إلى التفقه في الكتاب والسنة وربط الفروع بالمآخذ والأدلة أعسر وأعسر، غير أن ذلك لا يمنعنا من السعي والعمل بصدق الرجاء وقوة الأمل، وسننفذه في دروسنا هذا العام والله المستعان".[52]

3-التوسط بين التراث والمحافظة على الهوية وبين الحداثة واستشراف المستقبل، ويبين الشيخ ابن باديس هذا في معرض كلامه عن الحالة العلمية في الجزائر فيقول:" العلوم في الجزائر كما أظنها في غيرها، منها علوم تؤخذ باللسان العربي، وهي علوم الدين واللسان، ومنها علوم تؤخذ باللسان الأجنبي وهي علوم الأكوان والعمران، وقد كان الذين يزاولون العلوم الأولى على جمود تام، كما كان الذين يزاولون العلوم الثانية على تيه وضلال، فهؤلاء يعتبرون الآخرين أحجارا، وأولئك يعتبرون هؤلاء كفارا... هكذا كانت الجزائر في الحركة العلمية إلى أن مرت عليها مائة عام وأنشئت جمعية العلماء الجزائريين فتولت إفهام كل طرف قيمة الطرف الآخر، وبينت للجميع أنهم مهما نطقوا بأي لسان فهم من الجزائر وإلى الجزائر، ولا تنهض الجزائر إلا بهم ولا ينهضون إلا بها".[53]

4-التركيز على التعليم الابتدائي وفي هذا يقول الشيخ الإبراهيمي:" مراحل التعليم الابتدائي هي مراحل التكوين الأول للناشئة وعلى أساسها يُبنى مستقبلهم في الحياة، فإن كان هذا التكوين صالحا كانوا صالحين لأمتهم

ولأنفسهم. وإن كان ناقصا مختلا زائفا بُنيت حياة الجيل كله على فساد، وساءت آثاره في الأمة، وكانت الأمية أصلح لها منه وأسلم عاقبة".[54]

5-توحيد برامج التربية والتعليم على مستوى جميع مدارس الجمعية. قال الشيخ الإبراهيمي عند حديثه عن البرامج التي وضعها للتعليم مخاطبا المعلمين:" فليجتهدوا في تنفيذها وليحققوا غاياتها ومراميها، وليجعلوها دستورا يقفون عند نصوصه، ويجمعون ما تفرق من أساليبهم الخاصة في التعليم عليه بخصوصه، وليتبينوا أن الغاية من توحيد البرنامج هي توحيد التعليم والتربية".[55]

الفرع الثاني:الأهداف الوسطية للمنهج التربوي.

1-أول أهداف الجمعية التربوية بلا منازع هو تعليم اللغة العربية التي لها على الأمة حقان أكيدان كل منهما يقتضي وجوب تعلمها فكيف إذا اجتمعا، حق من حيث أنها لغة دينها، وحق من حيث أنها لغة جنسها.[56]

2-الدفاع عن الإسلام، والعمل على المحافظة على معالم الهوية الوطنية، وتقوية أواصر الأخوة بين العرب والمسلمين.[57]

3-إحياء الاجتهاد والنظر في الأدلة والاستدلال بها وترك الجمود والتقليد ونقل الفروع دون فهم وتبصر.[58]

4-الحرص على التربية الصالحة والتعليم النافع لتكوين جيل وسطي صالح للحياة وبها ومعها، نافع محب ومحبوب، حريص على ذلك، عامل له داعي إليه.[59]

5-العمل على وحدة الأمة وانسجامها بإنشاء جيل مطبوع بطابع واحد في لسانه وبيانه وقلمه، وفي تفكيره ومشربه، وفي آرائه في الحياة ونظرته إليها وأحكامه عليها.[60]

المطلب الثاني: طرق التعليم الوسطية للجمعية:

الفرع الأول: أسلوب التعليم الوسطي

سعت جمعية العلماء إلى إصلاح أساليب التعليم القديمة سواء في المدارس أو المساجد.

أولا-التعليم في المساجد: رجعت الجمعية لطريقة السلف في الوعظ والإرشاد، بالاعتماد على كتاب الله وتفسيره في ضوء السنة والسيرة النبوية، وهدي الصحابة رضوان الله عنهم، وسير حملة الهدي النبوي في أقوالهم وأفعالهم، مع الاهتمام في مجال التعليم الديني بالمعنى وتجليته بالأمثلة العملية التطبيقية، مع الابتعاد عن اللفظيات والخلافيات.[61]

ثانيا-التعليم في المدارس: توسط أسلوب التدريس عند الجمعية بين الاعتناء بالألفاظ السليمة لتقويم اللسان، والمعاني الصحيحة لتقويم الأذهان، وبين الدروس النظرية والتمارين العملية، وبين التلقين وتنمية ملكة الذوق والاستنتاج وروح المبادرة، وبين التربية والتعليم، وبين الجانب المادي والنفسي.

1-التوسط بين المباني والمعاني: اعتمدت الجمعية أسلوبا وسطا في تعليم اللغة العربية فاجتنب معلموها الزخارف اللفظية والأساليب الصعبة، وركزوا على المعاني والألفاظ الفصيحة، فلقنوا التلاميذ أبسط القواعد وأسهل التراكيب.[62]

2–التوسط بين النظري والعملي: حرصت الجمعية في مدارسها على إلقاء الدروس النظرية مدعمة بتمارين عملية ليسهل الفهم على التلاميذ، وتنمو الملكة العلمية لديهم.[63]

3–التوسط بين التربية والتعليم: ركزت الجمعية على تعليم القرآن الكريم حفظا وفهما وعملا بأخلاقه،[64] وها هو الشيخ الإبراهيمي يركز على التوسط بين التربية والتعليم فيقول للمعلمين:"أعيذكم بالله يا أبنائي المعلمين أن تجعلوا كل اعتمادكم في تربية الصغار للرجولة على البرامج والكتب. فإن النظم الآلية لا تبني عالما ولا تكون أمة ولا تجدد حياة...أما العمدة الحقيقية في الوصول إلى الغاية من التربية فهي ما يفيض من نفوسكم على نفوس تلاميذكم الناشئين من أخلاق طاهرة قويمة يحتذونكم فيها ويقتبسونها منكم، وما تبثونه في أرواحهم من قوة وعزم، وفي أفكارهم من إصابة وتسديد، وفي نزعاتهم من إصلاح وتقويم. وفي ألسنتهم من إفصاح وإبانة" إلى أن قال:" فاجعلوا الفضيلة رأس مال نفوس تلامذتكم واجعلوا العلم ربحا".[65]

4–التوسط بين الجانب المادي والنفسي:

أ–المعاملة بالرفق وتجنب العنف: اعتنت الجمعية بالجانب النفسي للتلاميذ إضافة إلى الجانب المادي، ويتضح هذا من خلال توجيه الشيخ الإبراهيمي للمعلمين إذ يقول:" فواجب المربي الحاذق المخلص، إذا أراد أن يصل إلى نفوسهم من أقرب طريق، وأن يصلح نزعاتهم بأيسر كلفة، وأن يحملهم على طاعته وامتثال أمره بأسهل وسيلة، هو أن يتحبب إليهم، ويقابلهم بوجه متهلل، ويبادلهم التحية بأحسن منها، ويسألهم عن أحوالهم باهتمام، ويضحكهم، ويحادثهم بلطف وبشاشة، ويبسط لهم الآمال، ويظهر لهم الحنان والعطف"،[66] كما نبه الشيخ على تجنب العنف لما له من آثار وخيمة على الناشئة فقال:" ليحذر المعلمون الكرام من سلوك تلك الطريقة العتيقة التي كانت شائعة بين معلمي القرآن، وهي أخذ الأطفال بالقسوة والترهيب في حفظ القرآن، فإن تلك الطريقة هي التي أفسدت هذا الجيل وغرست فيه رذائل مهلكة. إن القسوة والإرهاب والعنف تحمل الأطفال على الكذب والنفاق، وتغرس فيهم الجبن والخوف، وتبغض إليهم القراءة والعلم. وكل ذلك معدود في جنايات المعلمين الجاهلين بأصول التربية".[67]

ب–الاعتناء بميول التلاميذ: قال الشيخ الإبراهيمي حول وجوب الاهتمام بميول التلاميذ في العملية التربوية: "وليدرس المعلم ميول الأطفال بالاختلاط بهم...إن درس الميول يمكن المعلم من إصلاح الفاسد منها، ومن غرس أضدادها من الفضائل في نفوسهم".[68]

ثالثا–الكتب: حرصت الجمعية على تشجيع التلاميذ على المطالعة النافعة باختيار الكتب التراثية وكذا الكتب الحديثة السهلة العبارة، كما عملت على توجيه التلاميذ إلى طرق البحث العلمي في التاريخ وعلم الاجتماع والأدب وسير العظماء والقادة والمراجع العلمية العامة،[69] فتوسطت بذلك بين أسلوب المطالعة القديم لتنمية ملكة التلاميذ، وأسلوب البحث العلمي الحديث لتكوين شخصية الباحث الناقد، وبين كتب التراث والكتب المعاصرة، وبين الكتب الدينية والكتب الكونية من علوم وتاريخ واجتماع.

الفرع الثاني: وسطية المواد المدرسة.

تدوم المرحلة الابتدائية في مدارس جمعية العلماء ست سنوات، بها ثلاثة أقسام: التحضيري والابتدائي والمتوسط يمتد كل منها لسنتين، وتقوم مناهج التدريس فيها على ثلاثة أركان: التربية الإسلامية والثقافة العربية والمبادئ الأولية للمعارف العلمية،[70] وفي هذا قال الشيخ ابن باديس:" لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسنطينة عام 1932 وعزمنا على القيام بالتدريس أدخلنا دروسنا تعليم اللغة العربية وأدبها والتفسير والحديث والأصول ومبادئ التاريخ ومبادئ الجغرافية ومبادئ الحساب وغير هذا، ورأينا لزوم تقسيم المعلمين إلى طبقات، واخترنا للطلبة (للطبقة) [71] الصغرى منهم بعض الكتب الابتدائية التي وضعتها وزارة المعارف المصرية، وأحدثنا تغييرا في أساليب التعليم، وأخذنا نحث على تعلم جميع العلوم باللسان العربي والفرنسي، ونحبب الناس في فهم القرآن وندعو الطلبة إلى الفكر والنظر في الفروع الفقهية والعمل على ربطها بأدلتها الشرعية، ونرغبهم في مطالعة كتب الأقدمين ومؤلفات المعاصرين".[72] كما حث الشيخ في موضع آخر على تعلم كل العلوم فقال:" فاحذر كل متعيلم يزهدك في علم من العلوم، فالعلوم كلها أثمرتها العقول لخدمة الإنسانية ودعا إليها القرآن بالآيات الصريحة، وخدم علماء الإسلام بالتحسين والاستنباط ما عُرف في عهد مدنيتهم الشرقية والغربية حتى اعترف بأستاذيتهم علماء أوروبا اليوم".[73]

من هذا كله تلوح لنا وسطية المواد المدرسة بين الدينة والعلمية، التراثية والحديثة، اللغة العربية والفرنسية.

الخاتمة

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1-كانت حالة التعليم في الجزائر إبان إنشاء جمعية العلماء مزرية، حيث عمل الاستعمار الفرنسي على بسط سيطرته الفكرية من خلال طمس معالم الهوية الجزائرية، وتجهيل الشعب الجزائري.

2-قاومت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سياسة المستعمر، فحافظت على الهوية الوطنية بنشر العلم والوعي في صفوف الكبار في المساجد والشباب في النوادي والصغار في المدارس للبنين والبنات.

3-اعتمدت جمعية العلماء المسلمين على الوسطية في مناهج تعليمها حيث جمعت بين الاعتناء بالألفاظ السليمة لتقويم اللسان، والمعاني الصحيحة لتقويم الأذهان، وبين الدروس النظرية والتمارين العملية، وبين التلقين وتنمية ملكة الذوق والاستنتاج وروح المبادرة، وبين التربية والتعليم، وبين الاهتمام بالجانب المادي والجانب النفسي للتلاميذ.

4-توسطت الكتب الدراسية للجمعية بين أسلوب المطالعة القديمة لتنمية ملكة التلاميذ، وأسلوب البحث العلمي الحديث لتكوين شخصية الباحث الناقد، وبين كتب التراث والكتب المعاصرة، وبين الكتب الدينية والكتب الكونية من علوم وتاريخ واجتماع.

5-تميزت المواد المدرسة في الجمعية بالوسطية بين المواد الدينة والعلمية، والتراثية والحديثة، واللغة العربية والفرنسية.

وأخيرا نوصي بما يأتي:

1-الاهتمام بتراث جمعية العلماء المسلمين، ونشره بين العامة.

2-اقتباس وسطية منهاج التعليم عند جمعية العلماء المسلمين ومحاولة الاستفادة منها وفق ما يتطلبه العصر الحاضر.

3-الدعوة إلى إجراء أبحاث حول تجربة الجمعية في مختلف الميادين للاستفادة منها في الواقع المعيش.

الهوامش:

[1] مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، بيروت، 1979، 108/6. المصباح المنير: الفيومي، دار الحديث، دط، القاهرة، 2008، 414. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1998، 939،938. مختار الصحاح: زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط5، بيروت، صيدا، 1999، 338.

[2] الوسطية في القرآن: علي محمد الصلابي، دار النفائس، ط1، الأردن، 1999، 42،41.

[3] الوسطية في السنة النبوية دراسة تأصيلية مصطلحية: عقيلة حسين، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2011، 85.

[4] الخصائص العامة للإسلام: يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1985، 127.

[5] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 1987، 1/ 346.

[6] البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية: رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ط1، بيروت، دمشق، 2000، 128.

[7] مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، 109،110/4.

[8] التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المناوي، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1990، 102.

[9] مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها: علي أحمد مدكور، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 2001، 14.

[10] معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2008، 2291/3.

[11] منشور إلى الأمتين الإسلامية والافرنسية: أعضاء شعب جمعية العلماء، البصائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2006، مج4، العدد 160، 7 أفريل 1939، 161.

[12] سلسلة جهاد شعب الجزائر: بسام العسلي، دار النفائس، ط2، الأردن، 1983، 49/7.

[13] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية من عام 1830 إلى 1962، تركي رابح، وزارة الثقافة الجزائرية، ط3، الجزائر، 2007، 107،106.

[14] تاريخ الزواوة: محمد السعيد، أبو يعلى الزواوي، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، وزارة الثقافة الجزائرية، ط1، الجزائر، 2005، 65.

[15] سلسلة جهاد شعب الجزائر: بسام العسلي، 49/7.

[16] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 64،63.

[17] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 115،114،105.

[18] سلسلة جهاد شعب الجزائر: بسام العسلي، 50،51/7.

[19] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 270،269.

[20] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956): تركي رابح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، الجزائر، 2004، 67. التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 106.

[21] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 217،216.

[22] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية: تركي رابح، 76،75.

[23] التقرير الأدبي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين: محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، مج4، العدد 172، 173، 15 أكتوبر 1951، 291.

[24] ابن باديس حياته وآثاره: عمار طالبي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983، 186،185/3.

[25] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 237،236.

[26] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية: تركي رابح، 102، 103.

[27] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 217،216.

[28] التقرير الأدبي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين: محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، مج4، العدد 172، 173، 15 أكتوبر 1951، 293.

[29] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 235،234.

[30] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 220،219.

[31] تاريخ الجزائر المعاصر: محمد العربي الزبيري، اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 1999، 47/1.

[32] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 221.

[33] تاريخ الجزائر المعاصر: محمد العربي الزبيري، 210/1.

[34] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 220-223.

[35] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 296،297.

[36] تاريخ الجزائر المعاصر: محمد العربي الزبيري،1/213. التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 229،230.

[37] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية: تركي رابح، 84.

[38] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 115.

[39] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية: تركي رابح، 88.

[40] محاربة التعليم العربي بالوطن الجزائري: يحي بن العوادي، البصائر، مج3، العدد 90، 10 ديسمبر 1937، 12.

[41] لائحة استنكار لعرقلة التعليم العربي وتعطيل سيره: عبد الحميد بن باديس، البصائر، مج2، العدد ،76، 23جويلية ،1937، 206.

[42] سلسلة جهاد شعب الجزائر: بسام العسلي،7/52.

[43] سلسلة جهاد شعب الجزائر: بسام العسلي،7/52،53.

[44] لائحة استنكار لعرقلة التعليم العربي وتعطيل سيره: عبد الحميد بن باديس، البصائر، مج2، العدد ،76، 23جويلية ،1937، 206.

[45] كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية: محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، مج2، العدد 81، 30 ماي 1949، 281.

[46] ماذا في جبل أوراس (محاربة القرآن وتعذيب السكان): عبد الحميد بن باديس، البصائر، مج3، العدد 128، 26 أوت 1938، 311.

[47] تاريخ الجزائر المعاصر: محمد العربي الزبيري،1/207.

[48] سلسلة جهاد شعب الجزائر: بسام العسلي،7/47.

[49] سلسلة جهاد شعب الجزائر: بسام العسلي،7/53-55.

[50] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية: تركي رابح، 40.

[51] ابن باديس حياته وآثاره: عمار طالبي، 3/219،220.

[52] أساس الإصلاح (إصلاح التعليم): عبد الحميد بن باديس، الشهاب، المطبعة الجزائرية الإسلامية، دط، قسنطينة، 1934، مج 10، 12/ 521.

[53] الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري: عبد الحميد بن باديس، البصائر، مج2، العدد ،71، 18 جوان ،1937، 168.

[54] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997، 2/109.

[55] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، 2/111.

[56] تاريخ الجزائر المعاصر: محمد العربي الزبيري،1/203.

[57] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية: تركي رابح، 44.

[58] ابن باديس حياته وآثاره: عمار طالبي، 3/220-222.

[59] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، 2/109.

[60] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، 2/111.

[61] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية: تركي رابح، 103،104. التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 273.

[62] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 273،274.

[63] . التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 274

[64] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية: تركي رابح، 104. التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 274،275.

[65] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، 2/111.

[66] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، 2/112.

[67] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، 2/113.

[68] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، 2/113.

[69] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية: تركي رابح، 105. التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 275،276.

[70] التعليم القومي العربي الإسلامي والشخصية الجزائرية: تركي رابح، 284.

[71] ابن باديس حياته وآثاره: عمار طالبي، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2014، مج2، 3/22. وهو الأقرب للصواب.

[72] ابن باديس حياته وآثاره: عمار طالبي، دار الغرب الإسلامي، 3/27.

[73] ابن باديس حياته وآثاره: عمار طالبي، 3/177،178.